أعياد نصارى نجران ولباسهم منذ القرن الخامس الميلادي حتى إجلائهم في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

مأمون الخطيب، د.عبد الله الحاج عبد الله

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة ادلب

الملخص:

تنوعت الأعياد في الديانة المسيحية في نجران، وتعددت مناسباتُها ومواقيتها من جهة، كما أنها لم تكن على درجة واحدة من الأهمية الدينية من جهة أخرى، ولذلك قسمت من حيث الأهمية إلى أعياد كبرى وأعياد صغرى لكل منهما مواعيده وطقوسه الخاصة به. كما انتشرت عند نصارى نجران ألبسة وأكسية ذات ألوان مميزة تفردوا بها عن غيرهم من النصارى، وقد تنوعت تلك الألبسة والأكسية من حيث المكانة الدينية والاجتماعية، فمنها النفيس (الموشى بالذهب) ومنها الخشن البسيط الذي ارتداه الرهبان الزاهدين في الدنيا والمنقطعين للعبادة فقط.

الكلمات مفتاحية:

الأعياد– الدينية – نصارى – لباس – نجران

The Festivals and Attire of the Christians of Najran from the Fifth Century AD Until Their Expulsion During the Era of Umar ibn Al-Khattab

Department of History – Faculty of Arts and Humanities – Idlib University

Abstract:

Christian festivals emerged in Najran and varied in their occasions and timings. They were not of equal religious significance, thus they were divided into major and minor festivals, each with its specific timings and unique rituals. Additionally, the Christians of Najran were known for their distinctive clothing and garments, which were characterized by specific colours. These garments varied in type; some were luxurious and adorned with gold, while others were simple and coarse, such as the attire of their monks who led an ascetic life, devoted solely to worship and nothing else.

Keywords:
Festivals – Christians – Clothing – Najran

- **مقدمة:**

تعد الأعياد عند نصارى نجران جزءاً مهماً وضرورياً ليس فقط من الجانب الديني وإنما من الجانب الاجتماعي لما تقدمه من معلومات تفيد في معرفة طقوسهم وحالتهم المادية من خلال التقديمات والهبات وإشعال المشاعل وغيرها من أشياء كانوا يقومون بها، كما كان للباسهم الخاص بتلك المناسبات أثرٌ في ترسيخ سلطتهم الدينية على أتباع تلك الديانة هذه من جهة، ومن جهة أخرى كان لبعض رجال دينهم لباس بسيط خشن (وقد عد علامة وميزة لا تفارقهم فكانوا يعرفون به) كلباس رهبانهم ونساكهم. ومن ثم

الإشكالية الرئيسة في هذا البحث تتمثل بالأسئلة الآتية:

- هل اقتصرت أعياد نصارى نجران على الأعياد الكبرى والأعياد الصغرى فقط؟
- هل كان لنجران أعياد خاصة بهم دون غيرهم؟
- هل الطقوس الدينية المتبعة في نجران هي نفسها في بيزنطة؟
- هل أسهم نصارى نجران في إبداع بعض الصناعات النسيجية الخاصة بهم؟
- يهدف البحث إلى إعطاء الصورة الحقيقية لأعياد نجران ولباسهم دون مبالغة في الوصف أو الإنقاصٍ من حقهم بغية محاولة رسم الصورة الحقيقية لهذه الجوانب وإظهار دور بيزنطة في ذلك.
- نظراً لطبيعة البحث وبغية الوصول إلى الأهداف والنتائج المطلوبة للبحث فإن الباحث سيتبع المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن أحياناً من خلال الاطلاع على الدراسات العلمية الصحيحة التي تناولت الموضوع واستنباط الجيد منها ونقد المعلومة غير الصحيحة.

الأعياد ولباس نصارى نجران من القرن الخامس الميلادي إلى إجلائهم
في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

1- أعياد نصارى نجران (500-640م)

لكل حضارةٍ من الحضارات، وكل شعبٍ من الشعوب أعيادٌ سنويةٌ يحتفل بها، فتكون لها طقوسٌ خاصةٌ، وعباداتٌ معينةٌ، وتكون لها نفحةٌ روحانيةٌ عند أبنائها.

وبدخول المسيحية إلى نجران ظهرت عدة أعيادٍ قُسمت إلى: الأعياد الكبيرة والأعياد الصغيرة.

1-1 الأعياد الكبيرة

1-1-1 عيد البشارة أو عيد السبّار: وهي كلمة سريانية الأصل[1] ويعنون بها بشارة غبريال (جبريل عليه السلام) الذي بشّر - حسب زعمهم - مريمَ ابنةَ عمران بميلاد عيسى عليه السلام محدِّداً تاريخَ مولده ذاك في التاسع والعشرين من "يرمهات" شباط من شهورهم؛ ولم ترد أيةُ تفاصيلَ بطقوس هذا العيد، فلا يُعرف بدقةٍ ما هي الصلاةُ الخاصة بهذا العيد (لفقر المصادر رغم سعي الباحث الحثيثِ فيها).

1-1-2 عيد الزيتونة: وهو عيد الشعانين؛ ومعناه بالعربية التسبيحُ؛ الذي يُقام سابعَ أحدٍ من آحاد صومهم، وكانت سُنتهم في ذلك أن يخرجوا بسعف النخيل من الكنيسة إذ يزعمون أنه يومُ ركوب المسيح اليعفورَ في القدس؛ وهو الحمار؛ ودخوله صهيونَ راكباً والناسُ يسبحون بين يديه، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد ورد في بعض المصادر أن الناس رجعوا بالمسيح حاملين أغصانَ الزيتون والنخيل[2]، وكانوا يرتلون تراتيلَ خاصةً وهو يشابه عيد المظلة عند اليهود اذ يحتفل به لمدة ثمانية أيام يبدأ من تشرين ,

ويجلس اليهود فيه تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لاينتشر ورقه على الأرض , ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله تعالى اياهم في التيه بالغمام[3].

1-1-3 عيد الفصح: وهو العيد الكبير عندهم، ويقولون أن المسيح قام فيه بعد صلبه بثلاثة أيام[4] ويوافق الرابع عشر من نيسان , اذ كان النصارى يصومون عنِ اللحوم والدسم أربعين يوماً، كما كانوا يوقدون فيه المشاعلَ، وقد قال أوس بن حجر يصف رمحه وقد شبه أسنانه بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح فيقول:

"عليه كمصباح العزيز يشبه ... لفصح ويحشوه الذبال المفتلا"[5]

كما كان نصارى الجاهلية يحتفلون به فيوقدون المشاعل، ويعمرون القناديل، ويضيئون الكنائس بالمسارج حتى قيل للقنديل الذي كان يُعمر لهذا اليوم قنديل الفصح إضافةً إلى قراءة قصص الخلاص، وتناول القربان المقدس[6] وسمي بالباعوث؛ وفي حديث سيدنا عمر بن الخطاب لمّا صالح نصارى الشام أنهم كتبوا له: "إنّا لا نُحدِث كنيسةً ولا قيلةً، ولا نُخرج السعانينَ ولا باعوث"[7] والباعوث للنصارى عموماً كالاستسقاء للمسلمين؛ وهو اسمٌ سرياني ورد بلفظ: "باعوث" و "باعوثا".

وهو يشابه عيد الفطير اليهودي الذي يحتفل به اليهود في نفس التوقيت، ويوافق حسب اعتقادهم ذكرى خروج بنو إسرائيل من مصر هاربين، بعد أن تخلصوا من العبودية كما أنه لا يجوز لهم أكل اللحم لمدة سبعة أيام، ومن ثم فإنه يتشابه مع المسيحية في الفكرة إذ إن المسيحية تقول أن خلاص البشرية من الخطيئة يكون بقيامة المسيح[8]

1-1-4 خميس الأربعين: ويأتي بعد عيد الفصح بأربعين يوماً، وهو عيد الصعود، وقد أُطلق عليه أيضاً "السُلّاقُ"، ويكون في يوم الخميس، ويقولون إن المسيح عليه السلام تسلق فيه من طور زيتا إلى السماء، وأمر تلاميذه بلزوم الغرفة إلى أن يبعث لهم الفارقليط؛ وهو روح القدس[9] وكانت ترافقه

طقوسٌ خاصةٌ من قراءةٍ وتراتيلَ وصلواتٍ، وتأتي رمزيةُ هذا العيد عندهم تتويجاً لسميرة السيد المسيح الأرضية، وبدء ظهور العهد الكنسيّ ومن الملاحظ أن اليهود احتفلوا بهذا العيد(بمنح التوراة على جبل سيناء) ولكن بعد خمسين يوماً, كما تتشابه طقوسه الخاصة بالأدعية والصلوات بشكل كبير مع الطقوس النصرانية[10] .

1-1-5 عيد الخميس: وهو عيد العنصرة يعمل به بعد خمسين يوماً من يوم القيامة ويقولون إن روح القدس حلت بالتلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسن وذهب كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح [(11)]

1-1-6 عيد الميلاد: وهو اليوم الذي وُلد فيه المسيح، ويقولون إنه ولد يوم الاثنين، فيجعلون عشية الأحد ليلةَ الميلاد، فهم يوقدون فيه المصابيحَ ويزينون الكنائسَ، ويأتي في التاسع والعشرين من شهر "كيهاك" تشرين الثاني؛ وكان يسبقه صيام قبل العيد مباشرةً ويشابه توقيت هذا العيد عند النصارى توقيت عيد اليهود المسمى عندهم (بعيد الغفران) ويزعمون أن الله يغفر جميع ذنوبهم، كما يتشابه بالكثير من الأدعية والصلوات[12]

1-1-7 عيد الغطاس: ويُقام في الحادي عشر من طوبة (كانون الأول)، ويقولون فيه إن يحيى بن زكريا عليهما السلامُ – الذي يسمونه المعمدان – قد غسَلَ عيسى عليه السلام ببحيرة الأردن، وأن عيسى لمّا خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامةٍ، فلذا يغمس النصارى أولادهم في الماء البارد، كما أن من طقوسه غمس الصليب في الماء، وتلاوة بعض التراتيل الدينية[(13)]

1-2 الأعياد الصغرى:

1-2-1 الختان: ويُقام في السادس من "بؤنة" (أيار)، ويقولون فيه إن المسيح قد خُتن في هذا اليوم، وهو اليوم الثامن من مولده[(14)]

1-2-2 الأربعون: ويقام في الثامن من شهر "أمشير" (كانون الثاني)، ويقولون فيه إن سمعان الكاهن دخل على عيسى عليه السلام مع أمه (الهيكلَ) بعد أربعين يوماً من ميلاده، فبارك عليه (تلك عقول قد أضلها الله فأين مقام الكاهن من مقام سيدنا عيسى عليه السلام وهو كليم الله وروح الله وكلمته) [15]

1-2-3 خميس العهد: ويقام قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أن يأخذوا إناءً يملؤونه ماءً يزفرون فيه، فيغسل البطريق به سائر الناس؛ كما يزعمون أن المسيح عليه السلام فعل مثل ذلك بتلاميذه، وأخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض، فسمي هذا الخميس بخميس العدس لأنهم يطبخون فيه العدس على ألوانٍ، ومن ذلك أيضاً خميسُ البيض الذي يلونون فيه البيض؛ لا تزال عقولهم الضيقة تستهوي العمل بها وللأسف نجد بعض المسلمين لايزالون يقلدونهم تقليدا أعمى باتباعهم؛ وقد ذكرته الأشعار كقول أحدهم:

كتابٌ مع المُطل أحضرتُه... قليلُ الحلاوةِ إذ يلتمسْ

كأنّ حلاوةَ إحضارِه... حلاوةُ يومِ خميسِ العدسْ[16]

1-2-4 سبت النور: وهو قبل الفصح بيوم، ويقولون أن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم؛ فتشتغل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس وهو من تخيلات فعلها أكابرهم ليستميلوا بها عقول أصاغرهم، وقيل إنهم يُعلقون القناديل في بيت المذبح، ويتحايلون في إيصال النار إليها بأن يمدوا شريطاً حديدياً دقيقاً بعد دهنه بالدهن، فإذا ما صلّوا، وحان وقت الزوال فتحوا المذبح فدخل الناس إليه وقد أشعلت فيه الشموع، فيشعلون النار في طرفه فتسري عليه لتتقد القناديل واحداً بعد واحدٍ بسبب الدهن[17]

1-2-5 حد الحدود: ويأتي بعد الفصح بثمانية أيامٍ، فيجعلونه أولَ أحدٍ بعد الفطر لأن الآحاد التي قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس، ويلتفتون للمعاملات والأمور الدنيوية.

1-2-6 التجلي: ويقولون فيه إن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه، وبعد أن رُفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى فأحضرهما لهم في مصلى بيت المقدس ثم صعد؛ ويُقام هذا العيد في الثالث عشر من "مسرى" (تموز) من شهورهم [18]

1-2-7 عيد الصليب: وهو السابع عشر من شهر "توت" (آب) ويقول النصارى فيه قصةً مفادها أن قسطنطين بن هيلانة انتقل من اعتناق الوثنية إلى النصرانية فبنى كنيسة القسطنطينية العظمى؛ وذلك لأنه كان مجاوراً للبرجان[19]؛ وقد ضاق بهم ذرعاً لكثرة غاراتهم على بلاده، فرأى ليلةً في المنام أن ملائكةً نزلت من السماء وعليها صلبانٌ، فحاربت البرجان فانهزموا؛ فما كان منه إلا أن صنع أعلاماً عليها صلبان، فانتصر على البرجان؛ ودخل الكثير من الناس في النصرانية بعدها، فأمرهم أن يقصوا شعورهم، ويحلقوا لحاهم تأسياً برسل عيسى؛ ولما تنصر قسطنطين خرجت أمه هيلانة إلى بيت المقدس، وطلبت الخشبة التي زعم النصارى أن المسيح صلب عليها فحملتها وغشّتها بالذهب فاتُّخذ ذلك اليوم عيداً[20] وذلك في عام 326م، ويرى الباحث أن هذه القصة مختلفة، وربما اختلقها قسطنطين ليبرر تحوله إلى المسيحية بغية كسب مسيحيي الشرق لازدياد عددهم، وهذا ما حدث فعلاً.

وقد أُطلق على اجتماع النصارى واحتفالهم اسم (هنزمن) وهو لفظ من أصل فارسي هو (هنجمن) أو (أنجمن) وقد دخل إلى السريانية، والمقصود بها اجتماع النصارى واحتفالاتهم وتعييدهم، وقد ورد في الكثير من الأشعار، إذ قال الأعشى:

إذا كان هزمنٌ ... ورحتَ محشّماً[21]

كما كان للكنائس والأديرة والأضرحة والمقابر نصيبٌ من الأماكن التي يقصدها النصارى في أعيادهم فتكون مكان تجمع ولقاء لهم، وفي نفس الوقت يتقربون فيها إلى الرب، ويصلّون له فيحرَّم العمل في أيام الأعياد والآحاد وفق ما ورد في (المادة 64) من القوانين الحميرية (530- 560م) بضرورة اصطحاب الأسرة يوم الأحد وأيام الأعياد إلى الكنيسة، فمن يخالف ذلك يُحذر من قبل الحاكم على لسان ثلاثة أفراد موكلين؛ فإذا لم يمتثل، حُجزتْ أملاكه فقسمتْ بين الحاكم وجنوده العاملين في جيشه [22] وقد نهى الإسلام عن ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد) [23] وفكرتهم من زيارة القبور هي تذكر من فارقوهم وابتعدوا عنهم. ويشير البحث إلى أن المصادر تفتقر لمعلوماتٍ تفصّل طقوس كل عيدٍ منها، إلا أن سمة أعيادهمُ العامةِ أن ينيروا كنائسهم بالأنوار، ويضيؤوا فيها المصابيحَ، ويسرجوا فيها القناديلَ، ويزينوها بشكلٍ لافتٍ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

نظرتُ إليها بالمحصّب من مِنى ولي نظرةٌ لولا التحرجُ عارمُ

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بيعةٍ بدتْ خلف السُّجف أم أنتَ حالمُ[24]

من خلال ما ورد أعلاه يجد الباحث الاتي:

1. تأثر أعياد نصارى نجران بالأعياد اليهودية، وفي بعض الأحيان الوثنية.
2. هنالك تشابه كبير بين أعياد نصارى نجران والأعياد المنتشرة في الشرق.
3. ارتبطت أعياد النصارى عموماً، ومنهم نصارى نجران، بالمراحل التي مر بها السيد المسيح من البشارة إلى الصعود، وقد حوتْ هذه الأعياد بحسب رأي الباحث الكثير من الأشياء البعيدة عن الحقيقة التاريخية، والتي دحضها القرآن الكريم.
4. وجد الباحث من خلال عرضه لأعياد نصارى نجران دخول كلمات سريانية وفارسية إلى مسميات أعيادهم.

2 لباس نصارى نجران:

إن دراسة لباس نصارى نجران لم تَرد صراحةً في النقوش المسندية اليمنية، ولم ترد في نقوش جزيرة العرب الشمالية؛ ويمكن استخلاص أسماء لباسهم من خلال ما ورد في بعض المصادر ودواوين أشعار الجاهلية التي أوردت بعضُها وصفاً للباسهم، ولذا لن يشير البحث إلا لما ورد منها في تلك المصادر، لتصبح الصورة أوضح قليلاً في الفترة الإسلامية اللاحقة لورود أحاديث عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخصوص تحريم بعض أنواع الألبسة كالحرير وغيرها، وكذا في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما لباسهم في الفترة السابقة للإسلام فقد ذكر فيه:

الآخنّي: وتعني الثياب المخططة أو الأكسية السوداء اللينة التي كان يلبسها النصارى، والتي قال الشاعر فيها:

فَكرّ علينا ثمّ ظلّ يجرّها ... كما جَرّ ثوبَ الآخنيّ المقدسِ [25]

وقال بعضهم أن الآخني (كتان رديء)[26]

الإضريح: وهي أكسية حمراء من خزٍّ[27] (وهو ضربٌ من حريرٍ فاخرٍ) ويقال أنه الخز الأصفر[28] وقد ذكرها النابغة الذبياني في شعره واصفاً لباس النصارى في أعيادهم بقوله:

رقاقُ النعالِ طيبٌ حجراتُهم ... يُحيونَ بالريحانِ يومَ السباسبِ

تحييهمُ بيضُ الولائدِ بينهمْ ... وأكسيةُ الإضريحِ فوقَ المشاجبِ[29]

الريَّط: وهي الملاءة الواسعة المذهبة أو المنسوجة قطعة واحدة وقد ذكرت في الأشعار الجاهلية [30] فقال الشاعر واصفاً ثوراً برياً وحشياً:

يعلو الظواهرَ فرداً لا أليفَ لهُ ... مشي البطارِكِ عليهِ ريطُ كتانِ [31]

التقصار: وهو لباسٌ أشبه ما يكون بالحزام، وقد أورده الضحاك في شعره:

يا حبذا الصحبةُ في العمرِ ... وحبذا نيسانُ من شهرِ

بحرمةِ الفصح وسلاقكم ... يا عاقدَ التقصارِ في الخصرِ [32]

العمامة: وهي أشبه بالتاج عند العرب، وقد وصفها أبو الأسود الدؤلي بقوله:

العمامة: (جِنة في الحرب ومكنة في الحر ومدفأة من القر ووقار في النوادي وزيادة في القامة)[33]

استعملها نصارى نجران ولا يعرف متى بالضبط بدأ استخدامها، وقد وردت إشارات أن نصارى نجران كان في كعبتهم رجالٌ معممون، أي يلبسون العمائم[34]

وعندما قدموا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفهم الواصفون ووصفوا لباسهم بكلمة: (معممين) أن يرتدون العمائم، وقد بقيت لهم الحرية بلبسها وباللون الذي يريدونه حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب اذ أمرهم أن يغيروا لون العمامة بلون مخالف للمسلمين فكان اللون الأحمر والأصفر أكثر الألوان التي ميزت عمائمهم وذلك حرصاً من سيدنا عمر بن الخطاب على تميزهم عن المسلمين، ولا يزال بطاركة وكهنة وأساقفة النصارى يرتدون العمائم حتى الآن.

الزُنار: وهو ما يتزر به أهل الذمة والزنار أن يشدوا في أوساطهم خيطاً غليظا فوق الثياب[35]

وعندما قدم وفد نجران على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للهجرة وصفهم الصحابة بأنهم يلبسون الزنانير فقد جاء بالأشعار الجاهلية

رُبّ نارٍ بِتُّ أرمقُها ... تقضم الهندي والغارا

عندها ظبيٌ يؤجّجها ... عاقداً في الخصر زنارا [36]

وقد وردت في بعض الأسفار بصيغة "عاقد في الجيد تقصارا" (كناية أنه يشد وسطه بزنار أو نحوه)

المسح: وهو ثوب للرهبان من شعر أسود وقد رافق لباس الرهبان والزهاد النصارى[37]، وقد ورد في سيرة ابن هشام بحديثه عن صرمة بن أبي أنس قوله:

(وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان.... إلخ)[38]

وقد ذكر لبس الرهبان بالأسود الداكن قال الأعلم يصف ضباعاً:

سودٌ سحاليلُ كأنّ جلو دهنّ ثيابُ راهبِ [39]

الملاءة: وهي لبس الراهبات في أعياد النصارى وهي الأنسجة الطويلة الأذيال

وقد قال امرؤ القيس يصف سرباً من بقر الوحش:

فآنستُ سِرباً من بعيدٍ كأنه ... رواهبُ عيدٍ في ملاءٍ مهذبِ [40]

الحبرة: وهي من أنفَس الملابس النجرانية؛ وقد تفاخر الأغنياء وعِليةُ القوم باقتنائها والتباهي بارتدائها، وعندما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم (دخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحرير) وقد أورد أنس بن مالك قوله: كنتُ أمشي مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم (وعليه برد نجراني غليظ الحاشية)[41]

وقد نهاهم سيدنا عمر بن الخطاب عن لبسها كنوع من الاستصغار لهم (لما للحبرة من عز وشرف كبير لمرتديها)

البرود: وهي أكسية يلتحف بها، وقيل هو ثوب ذو خطوط وخُص بعضه بالوشي.

الأفواف: وهي ضرب من البرود الرقيقة الموشاة[42]

الحلة: هي ثياب نفيسة مكونةٌ من ثوبين من جنس واحدٍ؛ وكان لنصارى شهرة واسعة بها حتى أنه كان عليهم أن يؤدوا كجزيةٍ للمسلمين ألفَي حلةٍ كل سنةٍ؛ وقد ذكرت بأسماء متعددة، كما تفنن النساجون والصباغون في إدخال بعض المواد الجديدة عليها كالحرير والذهب، كما تميزت بألوانها فكان منها المقطعات[43] (برود عليها وشي مقطع مختلف الألوان، ويُلبس تحته ثوب من لون أخر) ومنها المسهَّم[44] (هي برود مخططة تشبه خطوطها السهام، أي أن فيها وشياً على هيئة نهاية السهام) ومنها السيراء:[45] (وهي لباس ذو خطوط صفراء موشىً بالحرير والذهب الخالص)وقد استمر لبسهم لتلك الألبسة حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب.

كما وردتْ في وصف لباسهم كلماتٌ من أصولٍ غير عربيةٍ، كالحبشية والفارسية وربما كان لبيزنطة الدور الأكبر في إيصالها إلى نجران مثل البرنس: وهو ثوب اتصلت برأسه دراعةٌ؛ وقد أصبحت البرانس محط إعجاب الطبقة الدينية لدى نصارى نجران إذ راحت تشير إلى المكانة الدينية الكبيرة عندهم.[46]

السندس: وهي البرود الحريرية الموشاة بالذهب.[47] وقيل فيه كذلك: القماش الرفيع أو الكتان الناعم، والكلمة فارسية الأصل وربما لشهرة بلاد السند (باكستان حالياً) بصناعة تلك المنسوجات، وقد وردت في تفاسير القرآن على أنها لباس أهل الجنة الموصوف باللون الأخضر.

وبالعودة لمعاجم اللغة العربية وكتب عيون الأدب لا نجد أصلاً عربياً لهذه الأسماء [48].

وعندما جاء وفد نجران على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يلبسون (الحلل وعليها أردية الحرير)

وقد نهى الإسلام عن لبس الحرير لما فيه من تشبه بالنساء كما ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أحاديث بوجوب مخالفة لباس النصارى وجعل "الغيار" [49] (لتمييز المسلمين واستصغار أهل الذمة) عموماً بأن فرض عليهم تغيير الكثير من لباسهم وعاداتهم، ومنع التشبه بهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)[50] وقد بقي لباسهم على هذه الحال إلى عهد سيدنا عمر بن الخطاب الذي وضع شروطاً أخرى عليهم وقد ورد في كتابه بالنسبة للباس (عليكم أن تلبسوا الزنانير من فوق جميع الثياب والأردية وغيرها حتى لا تخفى الزنانير وتخالفوا المسلمين بسروجكم وركوبكم وتباينوا قلانسكم وقلانسهم بعلام تجعلونه بقلانسكم) [51].

وكان عليهم أن يلبسوا ثوباً يخالف سائر ثيابهم كالعسلي والأدكن ويكون في ثوب واحد لا في جميعها ويشد الخرق في قلانسهم وعمائمهم و الزنانير فوق ثيابهم ويجعلوا لنسائهم غيارا في الخفين باختلاف لونهما[52]

وبالتالي فإن نصارى نجران قد مُنعوا من بعض اللباس الذي كان خاصاً بالمسلمين فقط لعلوه وشرفه

كما أنه سمح لهم بارتداء بعض الألوان التي هجرها المسلمون كالأصفر والأزرق والمقصود بالغيار كما أسلفنا هو تمييزهم عن المسلمين[53] أما ما يتصل بما كان يُلبَس من أحذيةٍ فلم تشر المصادر التي توفرت للباحث إلا لاثنين منها:

الموق: وجمعها أمواق، وهي ضرب من الخفاف، وقيل هو خف غليظ يلبس تحت الخف، وقد قال عمر بن تولب:

فترى النعاجَ بها تمشي خلفهُ ... مشيَ العباديين في الأمواقِ[54]

ومنها كذلك ما كان يُتخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونه "السبت" الذي ينتعله السادة، والذي قال فيه عنترة في معلقته:

بَطلٌ كأنّ ثيابهُ في سرجهِ ... يُحذي نعالَ السبتِ ليسَ بتوأمِ [55]

الأرندج واليرندج: ويعني الأدم الأسود و أصلها فارسي من مدينة رندة وقيل هو الجلود السوداء التي يصنع منها الخفاف[56] وقد خصها الشماخ بالنصارى فقال واصفا نعامة في برية:

ودوريةٌ قفرٌ تمشي نعامها ... كمشي النصارى في خفاف الأرندج[57]

فشبه سواد أرجل النعام بسواد خفاف الأرندج في أرجل النصارى[58]

القلنسوة: وهي كلمة يونانية الأصل وتشير إلى غطاء الرأس وكانت تصنع من قماش صوف أو كتان وربما كان عليها زخارف من الصلبان، وهي تشير الى علو مكانة صاحبها الدينية وتعطي لمرتديها شرفاً ورفعة كبيرة وقد استمرت حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب الذي نهاهم عن لبسها، كما كان لرجال الدين اليهود لباس مشابه للقلنسوة, حرص كبار رجال دينهم على ارتدائها[59]

يرى الباحث في نهاية حديثه عن لباس نصارى نجران ما يلي:

1. تأثر نصارى نجران في لباسهم بالعادات والتقاليد التي كانت سائدة في معظم جزيرة العرب.
2. اعتماد نصارى نجران في لباسهم على صناعات محلية وعلى ما يستوردونه من البلدان المجاورة والبعيدة كالشام والهند والصين.
3. ساهم توفر المواد الأولية المنشرة في جزيرة العرب من صوف ووبر وجلود في تطور الصناعات النسيجية لنصارى نجران.
4. تبين للباحث تنوع اللباس في مجتمع نصارى نجران حسب المكانة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فظهر اللباس الفاخر المزدان بالألوان واللباس البسيط الخشن.

الخاتمة:

تبين من خلال البحث السابق أن نصارى نجران كانوا متأثرين قبل وصول الديانة المسيحية وتسربها إلى مناطقهم بالمعتقدات الوثنية (إذ أنهم كانوا يعبدون شجرة كبيرة يدعونها ذات أنواط) وكانوا يعلقون عليها أسلحتهم وألبستهم النفيسة، ويقيمون حولها طقوسهم الوثنية.

كما ساهم الفكر البيزنطي في نقل بعض الأفكار المسيحية فظهرت لديهم الأعياد الكبرى والأعياد الصغرى، إذ كان لكل عيد من هذه الأعياد طقوسه وصلواته الخاصة به، ولا نجزم قاطعين بمعرفة تفاصيل كل طقس من تلك الطقوس، وذلك بسبب شح المصادر التي تناولت طقوس تلك الأعياد.

كما ظهرت لديهم الألبسة الخاصة بهم، وهنا سعى البحث إلى ذكر الأنواع التي وردت في المصادر (سواءً كانت شذرات بسيطة في متون الكتب أو أشعاراً وصفت حال لباسهم)، وهذا ما جعل البحث يقتصر على ذكر أنواع محددة من تلك الألبسة.

ومن الملاحظ في هذا السياق تميز النصارى بلباس اللون الأسود الذي استمر ردحاً طويلاً من الزمن (رغم شهرتهم الواسعة بصناعة الحلل والبرود والمنسوجات النجرانية، ولا سيما تلك المصنوعة من الحرير والموشاة بالذهب أحياناً) إلا أن هذا اللون كان مميزاً في ألبستهم من أعلى مرتبة دينية إلى أدنى مرتبة دينية (والتي كان يمثلها الكاهن أو الراهب)، ولا يزال هذا اللون من الألوان المهمة والأساسية لدى كبار رجال الدين المسيحي.

وهكذا فإن البحث يلاحظ أن الإسلام حفظ كرامة المسلم وميزه عن الذمي بشكل عام حتى لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في هيئته ولا في مركبه، وحتى يمتاز زيهم عن زي المسلمين كما سمح للنصارى بحرية تتوافق مع تعاليم الإسلام السمحة التي من شأنها إعطاء قيمة للفرد ورفعه إلى مستوى الكمال دون اضطهاد في الأمر؛ والناظر إلى المجتمعات اليوم يجد أن لكل طائفة أو أصحاب حرفة أو مهنة زياً واحداً يميزهم؛ إلا أنه من الملاحظ اليوم أن بعض شباب المسلمين يتشبهون ويقلدون

تقليداً أعمى آخرَ ما توصلت إليه الموضة الغربية الحديثة التي تتنافى مع خلق وكرامة وإنسانية المسلم؛ نسأل الله أن يردنا ويرد شباب المسلمين إلى دينه رداً جميلاً.

نتائج البحث:

خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

1- إن التبشير بالديانة المسيحية من قبل بيزنطة والحماس الكبير لديها في إنشاء كنائس وكعبات في منطقة نجران خصوصاً، وجزيرة العرب عموماً، لم تكن أهدافه دينية فقط، وإنما اتخذ من الدين شعاراً وسبباً لغرض الهيمنة والسيطرة السياسية والعسكرية والغزو الفكري والثقافي والاجتماعي على تلك الأجزاء الإستراتيجية التي تشكل حلقة وصل مهمة مستفيدة من موقعها الجغرافي الإستراتيجي على طرق التجارة العالمية آنذاك.

2- إن التأثير البيزنطي كان كبيراً وواضحاً على نصارى نجران بدليل تشابه الأعياد في كل من بيزنطة ونجران فيما يخص (توقيت وبداية كل عيد – وسببية وجود كل عيد ...الخ)، إلا أنه تأثر أحياناً ببعض العادات المحلية النجرانية، وهذا ما يفسره تنوع المذاهب المسيحية في نجران (كاليعقوبية– والملكانية – والأريوسية ...الخ).

3- تبين للبحث أنه لكل عيد من الأعياد طقوساً وصلواتٍ خاصةً به (رغم محاولة الباحث الوصول إلى معرفة تلك التفاصيل، إلا أن المعلومات حولها كانت شحيحةً جداً)، غير أن فيها قواسمَ مشتركة كالأدعية والصلوات وإشعال المشاعل في العيد – وتزيين الكنائس ...الخ

4- يستنتج الباحث أن لباس نصارى نجران ولا سيما في الأعياد كان لباساً خاصاً مستفيدين من شهرتهم الكبيرة بتلك الأنسجة – إلا أنه لا تعرف معلومات وثيقة لوصف لباسهم، ولا سيما في المراحل الأولى من بدايات انتشار المسيحية لديهم.

5- بين الباحث أن الهوية الدينية (ممثلة بالأعياد) والهوية الاجتماعية (ممثلة باللباس) أسهمت على نحو كبير في تعزيز البعد الديني لديهم، إذ وحدت مشاعرهم وهويتهم على نحو أكبر، وكانت العامل الرئيس في التآلف والتقارب وتوحيد الصف فيما بينهم.

6- أسهمت تعاليم الإسلام بتمييزهم عن غيرهم من خلال – مصطلح الغيار – (وهو مخالفة المسلمين للمسيحيين في عدة أمور منها اللباس) كنوع من إظهار عزة الإسلام، وإظهار الذل والصغار على المسيحية خصوصاً وأهل الذمة عموماً إذ تم حصر لباسهم بأنواع وألوان محددة، أو تميزهم بعلامات معينة، دون أن يمس ذلك جوهر عقيدتهم أو حريتهم الدينية، وذلك لمنع تشبه المسلمين بهم، والحفاظ على كرامة وهوية المسلم والاعتزاز بها والامتثال لأوامر تلك الشريعة الغراء.

7- توصّل البحث أن هناك تشابهاً في مواقيت بعض الأعياد اليهودية مع المسيحية، كما أن هناك تشابه كبير في الطقوس لديهم (كالصوم أو القرابين أو الأدعية).

قائمة المصادر والمراجع

(1) لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق بيروت لبنان، الطبعة 2، 1982، ص 214

(2) إنجيل يوحنا 12:13

(3) البيروني (أبو الريحان ت- 440هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية, دار الكتب العلمية , بيروت ,ط1 2000 ص210

(4) النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب,ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب،منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي,المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر,دت ، ج1,ص ١٩١.

(5) لويس شيخو: النصرانية، ص ٢١٦.

(6) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،دار العلم للملايين, بيروت ,ط1,1971, ج 6،ص 660.

(7) ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ,ت711هـ لسان العرب،دار صادربيروت ط1 ,1955ج2،ص 118.

(8) النويري :نهاية الأرب , ج1,ص184

(9) القلقشندي(ابي العباس أحم بن علي ,ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الانشا ط1 1985، ج 2،ص 426. ولويس شيخو: النصرانية، ص 217.

(10) البيروني :الآثار الباقية , ص180-200

(11) النويري: نهاية الأرب، ج 1،ص 191، القلقشندي: صبح الأعشى ج 2،ص 426.

(12) النويري: المصدر نفسه، ,ج1,ص184

(13) النويري: المصدر نفسه، ج 1،ص 191، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2،ص 426.

(14) القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٢ ،ص ٤٢٧.

(15) القلقشندي: المصدر نفسه، ج ٢ ،ص ٤٢٧.

(16) ابن نباته المصري (ت768هـ ديوان ابن نباتة المصري،تحقيق :عبد الرحيم محمد عبد الرحيم,دار الآفاق العربية,مصر ط1 2003, ج 1،ص 1111

(17) النويري: نهاية الأرب، ج 1،ص 193، الألوسي: بلوغ الأرب، ج 1،ص 359

(18) النويري: لمصدر نفسه، ج 1،ص 193، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2،ص 428

(19) البرجان: جنس من الروم اليعقوبي، ج 1،ص 187 وقيل البرجان في الشمال من الخزر قدامه بن جعفر(ت337هـ):الخراج وصناعة الكتابة,تحقيق :محمد حسن الزبيدي,دار الرشيد,العراق ط1 1981 ، ج 1،ص 190

(20)القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2،ص 428 النويري: نهاية الآراب، ج 1،ص 194.

(21) بن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ت 458هـ): المحكم والمحيط الأعظم, دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1 ,2000، ج 4،ص 492. ابن منظور: لسان العرب، ج 5،ص 267.

(22) نورة النعيمي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، مكتبة الملك فهد الرياض 2000، ص 363

(23)مسلم(ابن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري, ت261 هـ):صحيح مسلم,تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي,دار احياء التراث العربي ,بيروت ط1 1995، رقم الحديث 4441 ص 529.

(24) لويس شيخو: النصرانية وآدابها، ص208. ملاحظة: هذه الأبيات منسوبة لعمر بن أبي رفيعة، ولم يجدها الباحث في ديوانه ولا سواه، وإنما انفرد لويس شيخو بذكرها منسوبةً لعمر بن أبي ربيعة.

(25) ابن منظور: لسان العرب، ج 13 ص 9.

(26) الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني,ت 1205 هـ) تاج العروس,تحقيق مجموعة من المحققين,دار الهداية ,مصر 1994، ج 34، ص 159.

(27) الحربي(أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق ت 185هـ) : غريب الحديث ,تحقيق سليمان ابراهيم محمد العايد,جامعة أم القرى، مكة الطبعة 1،ج 2،ص 605

(28) ابن سيده(ابو الحسن علي ابن اسماعيل ,ت 458هـ) المخصص, تحقيق :خليل ابراهيم جفال ,دار احياء التراث العربي.بيروت ,ط1 1996، ج 1،ص 383.

(29) العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل ت359 هـ): الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت 1986م، ج 1،ص 111.

(30) الأصفهاني: (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ت 421هـ)، شرح ديوان أبو الحماسة،د – ت, ج 1،ص 350.

(31) لويس شيخو: النصرانية وآدابها، ص 219، والأزهري(ابو منصور محمد بن أحمد,ت370 هـ) تهذيب اللغة، تحقيق :محمد عوض مرعب, دار احياء التراث العربي ,بيروت ط1 ,2001,ج ١٠ ،ص 232.

(32) البكري(عبد الله بن عبد العزيز ت 487هـ): معجم ما استعجم , تحقيق: مصطفى السقا بيروت ، ط 3، 1403، ج 3، ص 1091.

(33) الدينوري: (أبو بكر أحمد بن مروان، ت – 333هـ)،: المجالسة وجواهر العلم الطبعة 1،دار ابن حزم بيروت لبنان 2002، ج 1،ص 564.

(34) جواد علي: المفصل، ج 7، ص 615.

(35) الشيرازي(أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف 476هـ):المهذب في فقه الامام الشافعي, دار الفكر بيروت، ج 2،ص 254.

(36) ابن الوردي(زين الدين عمر بن مظفر ت – 749هـ): ديوان شعر ابن الوردي:دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة1 ،1996 ج 1، ص 192.

(37) رينهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2012، ص 359-361.

(38) ابن سعد(محمد بن سعد الزهري,ت230هـ): الطبقات الكبرى دار صادر ,بيروت ,د – ت، ج 1،ص .499

(39) الزبيدي: لسان العرب، في ج 29، ص 187.

(40) لويس شيخو: النصرانية، ص 173، جواد علي: المفصل، ج 6،ص 661.

(41) البخاري (عبد الله محمد بن إسماعيل، ت 256 هـ): صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط2، 1987، مج4، ج7، ص40.

(42) الفراهيدي (الخليل بن أحمد، ت 185 هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د.ت، ج9، ص 273.

(43) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص276.

(44) الفراهيدي: العين، ج4، ص14.

(45) ابن سيدة: المخصص، ج5، ص47.

(46) رينهارت دوزي: المعجم المفصل، ص70-75.

(47) الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ت 725 هـ): تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ط1979، ج4، ص211.

(48) للمزيد راجع ابن منظور: لسان العرب.

(49) شمل موضوع الغيار عدة أمور: لباسهم وشعورهم وركوبهم وكناهم

(50) مسند أحمد بن حنبل :50/2 رقم الحديث 5114

(51) الشافعي(محمد بن ادريس ,ت204 هـ) الأم ,دار المعرفة ,بيروت ,ط2 1393، ج 4،ص 197 و198. أبو يوسف: الخراج، ص 127.

(52) البهوتي: (منصور بن يونس بن إدريس ت – 1051 م): كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصليحي هلال، دار الفكر بيروت 1402، ج 3،ص 128.

(53) ابن القيم(شمس الدين محمد بن ابي بكر ت 751 هـ)أحكام أهل الذمة تحقيق سيد عمرات ,دار الحديث ,القاهرة 2005 ، ص 1308 و1309.

(54) ابن سيدة: المخصص ،ج 1، وابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم تحقيق عبد الحميد هنداوي، طبعة 1،دور الكتب العلمية بيروت 2000، ج 6،ص 595.

(55) أبو زيد القرشي (170هـ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت ج 1،ص 149.

(56) ابن سيده: المخصص، ج 1، ص 404.

(57) سيبويه(أبو البشير عمر بن عثمان بن قنبور ت – 180 هـ): كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون, دور الجيل, الطبعة١، بيروت د.ت ،ج 3،ص 104.

(58) الدينوري(ابو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت – 276 هـ):عيون الاخبار ,دار الكتب العلمية ,بيروت ,د –ت , ج 1،ص 84.

(59) ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ص502-505.